حِلْمُ الرّجال صِفَةُ الكِبار

(خطبة جمعة 16 من ذي الحجّة 1435هـــ الموافق لـــ 10 أكتوبر 2014م

لفضيلة الشّيخ عبد الحق شطّاب – حفظه الله تعالى –

بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ – رحمه الله تعالى –)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسنِا ومن سيِّئات أعمالِنا،

" . . . مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿17﴾ " **سورة الكهف.**

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنّ مُحمّدًا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ "**سورة النّساء.**

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿102﴾ " سورة آل عمران.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿71﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم – ،

وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ، أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر المسلمين، في هذه الجمعة المباركة حديثٌ عن:

حِلْمُ الرّجال صِفَةُ الكِبار

إخوتي الكرام،

نحن الجزائريّون، أصبحت لنا صفةٌ لاصقةٌ بنا، إلاّ ما رحم ربّي، وهي صفة الغضب الشّديد، والخصومة الجارفة عند أي خلافٍ صغيرٍ أو كبيرٍ.

من أجل أرجوحةٍ وقعت جريمة قتلٍ، ومن أجل نظرةٍ وقعت جراحٌ وصراعٌ وفوضى، من أجل ركن سيّارةٍ يحدث عراكٌ.

ولذلك يجب أن نتأدّب بآداب الإسلام، وأن نروّض هذه النّفس، ونفطمها لأحسن الأخلاق والسّجايا.

وهذه الصّفة هي صفة الحِلم والتّجاوز عمّن أخطأ في حقّك، والحِلم كما قال أهل اللّغة خلاف الطّيْش، ومن أسماء الله الحسنى: **الحليم**.

فالله يشاهد معصيّة العصاة ومخالفة أمره ثمّ لا يستفزّه الغضب، ولا يحمله على مسارعة الإنتقام مع غاية الإقتدار، قال تعالى والعدل:

" وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ . . .

﴿61﴾ " **سورة النّحل.**

فالله جل في علاه حليمٌ بنا، يعفو عن كثيرٍ من زلاّتنا، ويمهلنا بعد المعصيّة، ولا يعجّل العقوبة والإنتقام، ويقبل التّوبة بعد ذلك.

سبحان ربّي العظيم! فَلِمَ لا نُعَامل النّاس كذلك ؟.

- (**فالرّجل الحليم هو الّذي يضبط نفسه وطبعه عند هَيَجَانِ الغضب**)، كما قال الرّاغب.

ولنعلم أنّ النّاس بالنّسبة للمرء ضروبٌ ثلاثةٌ، كما حُكِيَ عن الأحنف بن قيسٍ أنّه قال: (**ما عاداني أحدٌ قَطُّ إلاّ أخذت في أمري بإحدى ثلاث خصالٍ، إن كان أعلى منّي عرفت له قدره، وإن كان دوني رفعت قدري عنه، وإن كان نظيري تفضّلت عليه**).

ألم يقل تعالى :

" . . . وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134) " **سورة آل عمران.**

والمسلم إذ يحلم فإنّه ينال شرف الأخلاق، وسلامة العرض، وراحة الجسد، ويجلب الحمد لنفسه.

لأنّ الرّحمة بالجاهل مطلوبةٌ، والقدرة على الإنتصار مع ترك ذلك من شِيَمِ الكبار، والتّرفّع عن السّباب من مروءة الرّجال، والبعد عن الطّيش بالشّتم والصّياح

من صفات العلماء والحكماء، ورعاية من تفضّل عليك وفاءٌ وإخلاصٌ، والمكر انتظار الفرص من الدّهاء لمن أضمر لك العداء.

قال بعض الأدباء: (**غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله**).

قال إياس بن قتادة: (**تعاقب أيدينا ويحلم رأينا، ونشتم بالأفعال لا بالتّكلّم**).

قال تعالى:

" وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿58﴾ " سورة الكهف.

وقال سبحانه في آخر سورة فاطر:

" وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿45﴾ " سورة فاطر.

فقد روى الطّبراني في الأوسط والصّغير بسندٍ حسنٍ، عن ثوبان – رضي الله عنه – أنّه قال: { **قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –** : (**طوبى لمن ملك لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته**) }.

ولقد أعطانا رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – خير المثال عن العفو والحِلم والتّجاوز، روى البخاريّ ومسلمٌ عن أنسٍ بن مالكٍ – رضي الله عنه – أنّه قال: **{ كنت أمشي مع رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – وعليه بردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ فجبذه بردائه جبذةً شديدةً، حتّى نظرتُ إلى صفحة عاتق رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – قد أثّرت بها حاشية البرد من شدّة جبذته، ثمّ قال: (يا محمّد ! مُرْ لي من مال الله الّذي عندك !)، فالتفت إليه رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ثمّ ضحك، ثمّ أمر له بعطاءٍ) }.**

كما روى البخاريّ ومسلمٌ عن أُمِّنَا عائشة – رضي الله عنها – ، أنّها قالت: **{ استأذن رهطٌ من اليهود على النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – ، فقالوا: (السّام عليك)، فقلت: (بل عليكم السّام واللّعنة)، فقال: (يا عائشة! إن الله رفيقٌ يحبّ الرّفق في الأمر كلّه)، قلت: (أَوَ لم تسمع ما قالوا ؟)، قال: (قُلْتُ: (وعليكم)) }.**

إخوتي الكرام ،

اعلموا أنّ هذه الصّفة هي صفة الكبار، قال لقمان الحكيم: **(ثلاثةٌ لا يُعْرَفُونَ إلاّ عند ثلاثةٍ، لا يُعْرَفُ الحليم إلاّ عند الغضب، ولا الشّجاع إلاّ عند الحرب، ولا الأخ إلاّ عند الحاجة).**

ولتعلموا إخوتي الكرام، أنّ من أكبر أفضال الله تعالى على الحليم أنّ كلّ النّاس تقف معه.

قال عليٌّ بن أبي طالبٍ – رضي الله عنه – : (**إنّ أول ما عوّض الحليم من حِلمه، أنّ النّاس كلّهم أعوانه على الجاهل**).

وهذا معاويةٌ بن أبي سفيان – رضي الله عنهما – يقول، وهو الدّاهية في السّياسة للرّعيّة: (**لا يبلغ العبد مبلغ الرّأي حتّى يغلب حِلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلاّ بقوّة العِلم**).

ألم يقل الله تبارك وتعالى:

" . . . **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** ﴿28﴾ " **سورة فاطر**.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نِعَمِهِ، وأشكره على فضله وامتنانه،

معاشر المسلمين،

إنّ الحليم يكبر في عين القريب والبعيد، الحليم المتجاوز يكبر كثيرًا في أعين الكبار، وله مقامٌ عالٍ عند ربّ السّماوات، ألم يقل النّبيّ – عليه الصّلاة والسّلام – : (**ما زاد اللهُ عبدًا بعفوٍ إلاّ عِزًّا، وما تواضَعَ أحدٌ لله، إلاّ رفَعَهُ اللهُ**)، رواه مسلم.

وإن النّبيّ – عليه الصّلاة والسّلام – ما فتح مكّة، وما دخل النّاس في دين الله أفواجًا، وما حيّد أبا سفيان عن معركة فتح مكّة، إلاّ بحِلمه وتجاوزه، حينما اجتمع بقريشٍ، قال: (**ما تظنّون أنّي فاعلٌ بِكُمْ ؟**)، قالوا: (**أخٌ كريمٌ وابن أخٍ كريمٍ**)، فهل انتقم منهم ؟، بل قال لهم: (**اذهبوا ! فأنتم الطّلقاء**).

لّما كان يوم فتح مكّة، هرب عكرمة بن أبي جهلٍ، وكانت امرأته أمّ حكيمٍ بنت الحارث بن هشام امرأةٌ عاقلةٌ أسلمت، ثمّ سألت رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – الأمان لزوجها فأمرها بِرَدِّهِ، فخرجت في طلبه.

وقالت له: (جئتك من عند أوصل النّاس، وأبرّ النّاس وخير النّاس، وقد استأمنتُ لك فَأَمَّنَكَ)، فرجع معها.

فلمّا دنا من مكّة قال رســـول الله – صلّى الله عليه وسلّم – لأصحـــابه: (يأتيكم عكرمة بن أبي جهلٍ مؤمنًا مهاجرًا، فلا تسبّوا أباه، فإنّ سبّ الميّت يؤذي الحيّ، ولا يبلغ الميّت).

فلمّا بلغ باب رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – استبشر ووثب له رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – قائمًا على رجليه فرحًا بقدومه.

ثمّ جلس رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – فوقف عكرمة بين يديه ومعه امرأته متنقّبة، ثمّ قال عكرمة: (فإنّي أشهد أن لا إلــٰه إلاّ الله وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله).

فَسُرَّ بذلك رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ثمّ قال: (يا رسول الله! علّمني خير شيءٍ أقوله).

فقال: (تقول أشهد أن لا إلــٰه إلاّ الله وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله).

فقال عكرمة: (ثمّ ماذا؟).

قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – : (تقول: (أُشْهِدُ الله وَأُشْهِدُ من حضر أنّي مسلمٌ مهاجرٌ).

فقال عكرمة ذلك، فقال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – : (لا تسألني اليوم شيئاً أعطيه أحداً إلاّ أعطيتكـــه).

فقال عكرمة: (فإنّي أسألك أن تستغفر لي كلّ عداوةٍ عاديتكها، أو مسيرٍ أوضعت فيه، أو مقامٍ لقيتك فيه، أو كلام قلته في وجهك أو أنت غائبٌ عنه).

فقال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – : (اللّهمّ اغفر له كلّ عداوةٍ عادانيها، وكلّ مسيرٍ سار فيه إليّ موضعاً يريد بذلك المسير إطفاء نورك، واغفر له كلّ ما نال منّي من عرضٍ في وجهي أو وأنا غائبٌ عنه).

فقال عكرمة: (رضيت يا رسول الله! أما والله يا رسول الله، لا أَدَعُ نفقةً كنت أنفقها في صدٍّ عن سبيل الله إلاّ أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قتالاً كنت أُقَاتِلُ في صدٍّ عن سبيل الله إلاّ أَبْلَيْتُ ضِعفه في سبيل الله، ثم أَجْتَهِدُ في القتال حتّى أُقْتَلَ).

قال: (فما زال يُقَاتِلُ في سبيل الله حتى قتل رحمه الله).

وَرُوِيَ أنّه لّما كان يوم اليرموك ترجّل عكرمة (أي نزل عن فرسه) فقال له خالد بن الوليد – رضي الله عنه – : (لا تفعل! فإنّ مُصَابَكَ على المسلمين شـــديدٌ).

فقال: (دعني يا خالد! فإنّه كانت لك سابقةٌ مع رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –).

ثمّ قاتل قتالاً شديداً حتّى قُتِلَ فَوُجِدَ به بضعٌ وسبعون من بين طعنةٍ وضربةٍ وَرَمْيَةٍ.

تلك هي أخلاق النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – مــاذا فعلــت في أصحــابه – رضوان الله عليهم – ، فهل تفعل أخلاقنا فيمن حولنا ما ينبغي أن تفعله ؟، لا يمكن أن نكسب القريب والبعيد إلاّ بأخلاق رسول الله – عليه الصّلاة والسّلام – .

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت، وعافِنا فيمن عافيْت، وقِنا شرّ ما قضيْت،

اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـنــًـا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رِضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،

اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بِقَوْمٍ فِتنةً، فتَوَفَّنا غير فاتنين ولا مفتونين،

اللّهمّ إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك، وحبّ كلّ عملٍ يُقرِّبنا إلى حبّك،

اللّهمّ اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيّامنا يوم لِقاك،

اللّهمّ لا تأخذنا على حين غِرّةٍ، ولا على حين غفلةٍ،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، واخذُل أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،

إنّك على كلّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين،

سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إلــٰه إلاّ أنت، نستغفرك ونتوب إليك.